الد يوان الثالث

المرايا وزهرة النار

شعر
الدكتور
صابر عبد الدايم
تقديم
الأستاذ الدكتور
عبد الحكيم حسان

الإهداء

إلى رفاق دائرة الوَجْد

السائرين فى قافلة الغرباء

المحدقين فى كل المرايا

الباحثين عن الحرف الأخضر

... يعانق زهرة النار

د . صابر عبد الدايم

الْمَرَايَا وزَهْرة النار(•)

– صوتٌ أول ..

مراياكِ .. ما عُدْتُ أبْصِرُ فيها نجوم ارتحالى ! !

وما عاد فيها يسافر برق اشتعالى ! !

فكيف تكسرْتِ فى ناظريَّا ؟

وكيف انطفأْتِ على ساعديَّا ؟

وكيف تجمدْتِ فى خطواتى ؟

(•) نشرت هذه القصيدة بكثير من المجلات والجرائد الثقافية فى مصر والعالم العربى .

وكيف تبعثرتِ فى خطراتي ؟

وكُنَّا على فرسِ الشعرِ نَرْحَلُ ... نَعْبُر فوق جسور البراءة ...

... نَدْخُل فى صدر هذا الزمان ...

ننَقِّب عن بؤرة للحنان

فكيف سقطْتِ ؟

وكيف تواريتِ خلف الجِبال ؟

كأنك شمسُ الغروب

تُجدِّفُ فى الأفق لَكِنْ بلا ساعدين ! ! !

وفى لَحَظاتِ انطفاء المصير ...

تُوَدِّعُ أَحْبابها ...

وترْمى رؤاهم بألسنة من لهيبْ

وتغرس فى حدقات المحبين طعم هواها الغريبْ

... فهل تشرقين على أنْفُسٍ من طرازٍ جديدْ ؟

وتَسقينَهم سِر هذا الرحيل العنيدْ ؟

" صوتٌ ثان " ..

.. مرايای مازال فيها ضياءُ الهوَى ... وشعاعُ الأريجْ

وفيها الحدائقُ تنبت من كل زوجٍ بهيجْ

وتخضر فيها الرؤى المثمرات وفيها تضُوْعُ المروجْ

وفيها ... الأعاصير .. فيها البراكينُ ...

... لكنْ بلا ذَرَّةٍ من ضجيجْ

وما عنكَ أنأى .. وما منكَ أهرُبُ ...

لكنْ أغارُ ...

... فأغتال مَن يَسْرِق العَرْشَ مِنىِّ ...

وحين تمدد فى صدرِك الخوفُ ...

... ضم اشتهاءك ... فتَّح ذاتك للرغَبات ...

... وأطلق فيها صقور الهزيمة.. تصطاد حُلْم الطيور...

... وتفتك بالأغنيات .. وتلتقط الأمنيات

... مناقيرُها فى عُيون الموانئ تطفئ فيكَ التوهج ...

... تَسْرِق منكَ نواة التفرد .. تَثْقُب قَلْبَكَ ...

... تَنْفُثُ فيه السموم ...!!!!

... فكيف أَحَلِّقُ فى عالم من دخَان ؟

وكيف أُشيّدُ قصْرك .. والحقلُ قد هَجَرتْه سيوفُ الأمان ؟!!

وكيف أسَيِّرُ فوق صدور الجبال البحار ؟

وكيف تَذُوقُ المفازاتُ طعم اخضرار البساتين ...

... تَخْرُجُ من ذلك الظمإ المستبِدِّ

وتصهل فيها الخيول

وتُورقُ فيها الطلول

ويَرْحَل عنها الأفول

... متى يا صديقى ...؟

متى عنك تَخْلَعُ جِلْدَ النمور

وَتَرْمِى إلى النار فرو الثعالب ؟

وتنزع منكَ نيوب الذئاب

وتَرْمِى صقور الهزيمة..إذ حَلَّقَتْ فى سَمَاك بكلِّ الحِرَابْ

... متى يا صديقى .....؟

سيرجع نبض المرايا إليكْ

تَرفْرفُ كل النبوءات .. كل الفنارات تَهْمِى عليك

وتلْقى الذى ضاع منكَ يُغرِّدُ فى ناظريكْ

فَفَتِّش بذاتك عن زهرة النار ...

... تَلْقَ الحدائقَ تنبُتُ بين يديكْ

مكة المكرمة 8 من محرم سنة 1406هـ
23 مــن سبتمبــر سنــة 1985م

مَهْلاً يا سيدتى (•)

مَهْلاً يا سيِّدتى

فالقاضى الجالسُ فى صدركِ لا يَنْوِى قَتْلى

لكنَّك أصدرْتِ الحُكْم بإعدامى

وأنا من نافذة الأسوار المسجونة فيها مملكتى

أُبْصِرُ حراسكِ من عَيْنيكِ انطلقوا

وأرى مشنقتى

تتدلى من سَقْف تواصلنا

(•) نشرت بجريدة الأهرام المصرية فى 10 من ذى الحجة سنة 1404هـ . الموافق 5 من سبتمبر سنة 1984م .
ونشرت بمجلة " المنتدى " بالإمارات .

تتأرجح فى ظِلَّ لهيبِ تفاعلنا

تنتظر الكائن يولد ... يطلع مكتملا من ريح تزاوجنا

* * *

فأنا لن أذبح إلا بيديكِ ...

... ولن يَعْرفَ أحدٌ لون دمائى !!!

لن أُدفن إلا فى عَيْنَيكِ ...

... ولن يدرك أحدٌ أين توارت أشلائى !.!

وارتد الحراسُ وما شَنَقُوا

وإذا الأسوار هباءٌ منثور يحترق

وإذا بى فى صدر الميدان أطيرُ ... أحلِّقُ ... أنطلقُ

الشمس بيمناى أشِعتُها ...

... أسْيافٌ تتعانق والقلب لها يمتشقُ

والقمر بيسراى بمهجته الأضواء زهور تأتلقُ

* * *

فالشاعر يا سيدتى

فى أزمنةِ الجوعِ الكافرِ تطعمه كَلِمَاتُهْ

فى طغيان العصر الحجريّ تجف الأنهار فتسقيه كَلِمَاتُهْ

حين يَصِيرُ الموت هوية كلِّ العالمِ يأساً ...

... تحييه كَلماتُهْ !!!

وإذا رَكب الجَمْعُ جسور الخَوْف ...

... وعاشوا فى شرفات الزَّيْفِ ...

... تَقْتُله كَلِمَاتُهْ !!!

وأنا يا سيدتى

أسرجْتُ خيول الحَرْف ...

... امتشقت أوزانى السيف

أردَفْتُك خلفى ...

... لم يَنْبتُ فى حَقْل رؤاي الخَوْف

أطْعَمْتُكِ من حقلى

رمان الوصلِ ، وفاكهةَ الْحبِّ ، وقمح الوُدّ ...

... وألبَسْتُكِ أوراق التين ، وشارات الزيتون ...

... فصِرتِ بعائلةِ الأشجار حديقة عشقٍ ...

... تفتتح كتابَ الخصب

... وتَتْلُو آيات الأمطارْ

أسقيتُكِ من ينبوعى ...

... الفائرِ من تنور الأحزانْ

ما عصَرَ القلْبُ...وما سَكَب الشُّريانُ ، وما مزجت روحى ...

... من عنب الشوق ...

... وورِدِ القُرْب ...

... وخمْرِ الوجد ...

... فصِرت بذاكرة البحر سفينة ضوء ...

... تغزو أسْوار الموج ...

... وتفْتَحُ مُدُناً ...

تتزاوج فيها الأغْوارُ مع الأقمار !!!

والنورُ يعانق فيها النارْ !!!

مصر - الزقازيق - 1983

سباق

قَلْبى على الأسفلتِ يَجْرِى ! ! !

ويسابق العَرباتِ والأشجارَ والريح التى ...

... حَمَلت إليك بذور عمرى

وأراك فى المرآة تجتازين ليل المنحنى

وتسابِقين الشمس .. لا تقفين فى نقطِ المرور ...

... وتعبرين خنادق الطرقات ...

... لا تدرين أنَّ القَلْب فى صدرى على الطرقات يَجْرِى

أجرِى .. وتجرين : الرياح أمامنا

والظل يلهث خلفنا

والكونُ يسْجَن فى الغروب وليس يَشهد غير ضوء سباقنا

– سيارتى تعدو برغم إشارة حمراء قالت: قفْ هنا ! ! !

ومَرَقْتُ لا أحنى خطاى إلى إشارات المرورِ ...

... كأنَّ بى مسًّا من الجن المغامر ...

... عرشُ بلقيس يحُث خطايَ ...

... من قبلِ ارتداد الطَّرْف أحْضِرُه ...

لأتِّخذَ الكواكبَ موطنا

وأصوغَ من هُوَج الرياح مراكبًا ومدائنا

– لكنْ أراكِ وقفْتِ عند المنحنى

لم تعبرى السور الحديديّ الذى عاقَتْ يداه سباقنا

لم تقفزى خلف الرياح وتصرعى ظِل الثبَّاتِ وتعبرى آلامنا

– عيناى راحلتان فى عيْنيكِ .. باحثتان عن ثمر السباق

عن بذرة الآتى على مَتْن البروق يحط بين يديك أغنية انعتاقْ

– يأتى القطار من الجنوب إلى الشمال ...

... ونحن ننتظر انفراج السور ...

... نصنع من سباق الريح والأشجار والعربات ملحمة العناقْ

فالكون غايتُه سباقْ

والبحرُ عند المدِّ طوفانُ ائتلاقْ

ورؤاهُ عند الجزْر أكوانُ اشتياقْ

فى قلْبِـه تغْلى العناصرُ ... توُلَدُ الأضْدَادُ ...

... تَكْبُرُ طفْلةُ الأسرار ...

... تخْرُجُ باللالئ من تجاويف الزمنْ

– والشمسُ تغْرُبُ فى الدماءْ

وتطل عين الكونِ من دمها ...

... إذا قِدم النهارُ على يديهِ تموء أَشلاءُ الظَّلامْ

– دمُنا الوجودُ ...

... فكيف نَلْعَنُ فى مرايانا صداه ...؟

...وكيف وجهُ الورد يَشْرَبه ...؟

... وكيف نصوغ من أوتاره لحْن الفنارْ ؟

– والسورُ يُرْفَع ...

... والقطارُ يدوس ظِل الواقفينْ ! ! !

القطارُ

يدوس ظِل الواقفين! ! !

مكة المكرمة – السعودية " جريدة الرياض"

6 من جمادى الأولى سنة 1405هـ

27 من يناير سنة 1985م

من فُسُوحات الغُرْبة (•)

" والليل وما وسق "

والقمرِ إذا ما اتسق

إننى راكب طبقًا عن طبق

راحلٌ فى زمان القلقْ

قادمٌ من عصور النَّزَقَ

هابطٌ فى انحدارِ الألقْ ! ! !

صاعدٌ فى انطفاء الأفقْ ! ! !

(•) نشرت بمجلة القافلة الجديدة – المصرية عدد يناير سنة 1985م .

ممتط صهوة الشمس لم أحترِقْ ! ! !

واحتراقى انطلاق من الأسْر فى عالمٍ يَخْتنقْ

واتحادى مع الشمسِ عَصْرٌ من الطهر يبزغ من بشريات الشفقْ ! ! !

فامنحينى البراءة حتَّى أعُودَ إليك ...

... على شفتي الغناء ...

... وفى مقلتيَّ الرجاء ...

... وفى ساعديَّ الضِّيَاء ...

... وفى قدميَّ الرَّخاء ...

... ولا تسأليني ...

... لماذا انصهرْت بنارِ الشموس ...

... فقد علمتنى دروبـِك ...

... أنَّ الخديعة لب الذكاء ...

... وأنَّ التحايلَ ظل الثراءِ ...

... وأن التسلّطَ حصن الإباء ...

... وأن المروءة أفْق الغباء ...

... وأن التكاشف طفلُ الهباء ...

... وأن القوى الذى يتخطَّى الرقابْ ...

... وأن الشريف الذى فى يديهِ الحرابْ ...

... ومهما يكسر كل المرايا ... ...

... ويَسْرقُ ضوءَ المنارات فهْو المجابْ ...

... ومهما يجدف فى المخزيات فليس يعابْ ...

... وما زال سيفى على وجهتى يشْحذ العاديات ...

... – لماذا أدرت لكلِّ الأحبة ظهرك ...

... – قد سلبونى الأمانْ ... ... !!!

... – فهل أتحوَّلُ فى يَدِهم ألعبان ؟...

... – ألم تعطِهِم أنت صك المكان ؟...

... ألم ترض أن يخطفوا منكَ خيل الرّهان ؟...

... – ولكنى ما امتطيت الجواد الجَبَانْ !!! ...

* * *

إضاءة :

كتبت هذه القصيدة فى الفضاء أثناء صعود الطائرة من مطار القاهرة .. ومغادرة الوطن إلى مطار " جدَّة " بالمملكة العربية السعودية .

فى سبتمبر 1984م – شعبان 1404م

الشهيد (•)

أَيُّهَـا الطَّـالِعُ مِـنْ أفـق التَّـوَارِيخ المجِيـدَةْ

بُورِكَـــــتْ تِلْـــــكَ الرَّصَّاصَـــــاتُ العنيـــــدهْ

إِنَّهَـا اِجْتَاحَـتْ جـدارَ اليـأس فِينَـا

والإرادات الْبَلِيـــدَةْ

أَيْقَظَـــتْ فِينَـــا شَـــرَايِينَ التَّحـــدى

وَأَعَادَتْنَـــــــــا إِلَـــــــــى الأرْض الْجَدِيـــــــــدَةْ

* * *

- **هذه الأرض ... على زنديك تهتز ...**

(•) مهداه إلى شهيد الحرية والشباب الجندى " سليمان خاطر" ونُشرت وأذيعت مرات عديدة .

... وفى عيْنيك تمتد ...

... وفى كفَّيكَ تربو ...

وبصدر المدفع الرشاش يغدو الحَقْل مَوَّاراً ...

... بآلاف الرجال الخضرِ ... يُلْقون ثمار العزم ...

... فى وجه المغِيرين... شظايا... ولهيبًا ... ودمارا

- إنها الطير الأبابيلُ عليهم ... صبتِ النارَ ...

... أحالت ... كل أوهام الـمُغِيرينَ غبارا

* * *

- يا سُليمْان أأَقبَلْتَ مع الطير وشاهدْتَ مواويلَ الحيارى؟

أحْرفًا مكسورة الإيقاع ...

... فـى دوَّامـة العَصْـر ... وفـى وجـهِ الزمـان – الصـخرِ–

ما زالت تدورْ

والمرايوان ... أضاعوها على كلِّ الجُسورْ !!!

بعثروها فى سراديبِ اللغاتْ !!!

أطْعَموا الحيتان منها والصقُورْ !!!

صنَعوا منها رواياتٍ...وأسمارا...وأعواد بخور !!!

* * *

وإلينا جئتَ من ذاكرة النار دما تَسْكُنُ فيه كربلاءْ

جئت فى عصرٍ به سيان ... لونُ الورد أو لونُ الدماءْ

جئتنا فى زمن الرعب ... وأطلقْت رصاصَ البدء ...

... فانجابت سحابات الحكايَةْ

- فامتط الآن جواد الريح ... واعبُر حاجز التيه ...

... وهدِّمْ كل أَسوارِ الوصايةْ

أنتَ لن تغدو فصْلا فى متاهات الرِّوايةْ

أنتَ حدُّ السيف لا يدرك إلا لغة العدل وإشْراق النهايةْ

- طائر النار يوافيك بأصداء افتراءات الرفاق الخادعينْ!!!

علَّقوا تاريخك الأبيض فى نافذةِ السجنِ وقالوا :

شَنَقَ المجرم نفسه !!!

عانق المجنون يأْسه ! ! !

إنما الشيطانُ مسه

- وأنا ألقاك حياً... فى كتاب الرَّفْض... فى أفْق التحدِّى...

... لهِبا يغزو انطفاءاتِ العصور

لستَ إلاَّ البرق ... إلاَّ الرعد ... إلاَّ السيف ...

... فى ليلٍ كموج البحر يُلقِى زبد اليأس وحيتان الهموم ! ! !

* * *

- نارك الخضراء يا بْنَ النيل هل تَسْقى خطانا اليابساتْ ؟

هل بوادى عُمْرنا المجدبْ تُجْرى فيض آلاف العُيونِ الجاريات ؟

هل يفك القيد عن أعْيننا ؟ هل تركض الخيل وتغتالُ السُّبات ؟

- هل نرى الأشجار تمْشِى ... فوق صدر الراسيات

يا سليمانُ...لقد عاد إليك الهدهد الهاربُ يُنْبيك بأضْواء اليقينْ

" إن هذا الشجر الأخضر نارٌ وسيوفٌ...ودماءٌ وأنين

ليس فيه المنُّ والسلوى ... ولكِنْ خلفه ذُلُّ السنين ! ! !

هكذا قِيلَ ... ولم نَأْبَـهْ بما قالته زرقاءُ اليمامه !!!

فإذا الأشجارُ فرسانٌ وأسياف وخيلٌ واغْتصاب !!!

وإذا الظلُّ لهيبٌ والحقولُ الخُضرُ قفرٌ ويَباب !

والأباة الصيد خلف السور تستاف العذاب !!!

ونداء الحَق مدفونٌ بأضلاع المآذن

واليهود المجرمون

يَحرقُون المسجد الأقصى وفيه يرقصون

وثقيف تغمد السيف بأضْلاع هوازن

... ويعود الشجر الأخضر يسعى ...

قادمًا فى مأتم الشمسِ وأشباحِ الغروب

وعليه يتبارى المسلمون!!!

وهو مشحونٌ بألوان السموم !!!

وتعُودُ النار فى ثوب جديد

وتهُز الأرضَ صيحاتُ الشهيد

يشعل النارَ على كلِّ الحدود

يحرق الأشجار .. يُلقى فى لظاها كل أشلاءِ القُيود

- هكذا من شرْفة العرشِ يوافينا سُليمانُ الحكيم

طائرُ النار إليه .. يَحْمِل الثأر القديم

" قال عفريتٌ من الجن أنا آتيك " بالعَرْش السليب

قبل أن يرتد طرفُك

واندفاعات الرصاصات تجيبْ

تُنقذ العَرْش من الجن الغريب

وملوكُ الجن تَبْنى .. لسليمان الحكيمْ

ما يشاءُ – من قِلاع وحصونْ ..

" وجفانٍ كالجواب .. وقدورٍ راسيات "

والشياطين يغوصون بأعماق البحور

وسليمانُ على الشاطئ يحمِى ما عليه من جنانٍ وثغور

إنه الملكُ الذى شادتْه أنياب النسور

- **فامتط الآن جـوَاد الـريح .. واعـبر حـاجز التيـه .. وهَـدمْ كـل أسْوار الوصايةْ**

أنتَ لن تغدو فصْلاً فى متاهات الرِّوَايَةْ

أنتَ حدُّ السيف ..لا يُتْقِنُ إلا لغة العَدل وإشراق النهاية

مكة المكرمة 11 من يناير سنة 1986م

1 من جمادى الأولى 1406هـ

السَّائِلْ (•)(•)

فى دمى يغرق تاريخ بلادى !!!

فى دمِى تُحْرقُ غاباتُ عنادى !!!

فى دمِى تركض أشلاء جيادى !!!

والرصاصاتُ تنادِى

قِفْ مكانكْ !!!

لا تُحرِّكْ بالمنى إلا لسانك

هل تريد النارَ تجتاح زمانك

قِفْ مكانك !!!

(•) نشرت بمجلة : أصوات " ومجلة ينابيع" بمصر عام 1983م ومجلة = الثقافة الجديدة

(•) هذا تكلم الفدائي الفلسطيني .. وهو يقاوم التيه والشتات

- وأنا أشْهَدُ صوتَ الجد فى قلبِ المنارات القديمةْ

سـأحْمِل روحـى علـى راحتـى

وأُلقِـــى بهـــا فـــى خضـــمِّ الـــردى

فإمـــا حيـــاة تَسُـــر الصـــديقَ

وإمـــــا ممـــــاتٌ يغـــــيظ العـــــدا [1]

- أشْعِلُ النار فلا ألقى سوى أصداء ليلاتٍ مضيئةْ

كانتِ الصحراء جناتٍ وضيئةْ

كان صوت النجدة الأخضر يأتينى نديا

وداعٍ دعَـا بعـد الهـدو كأنمـا

يقاتـــل أهـــوال الســـرى وُتقاتِلُـــه

دعا يائساً شبهَ الجنـون ومـا بـه

جنـــونٌ ولكـــنْ كيـــدُ أمـــرٍ يحاولـــهْ [2]

---

(1) هذان البيتان للشاعر الفلسطينى : عبد الرحيم محمود .
(2) هذان البيتان للشاعر العربى : حاتم الطائى .

أُشْعِلُ النار بُعمْرى

وقطاراتُ العروبةْ

لا ترى نارَ المناراتِ ولا تَلْوِى على شئ سوى إطفاء نيرانِ النجاةْ

سارقُ القضبانِ قد أسكرهم فاحترقوا ثم تولوا ...

... فإذا أهْلُ المنارات الجناةْ

وأنا أشعل فى وجه بلادى ...

لهبَ الريح ... وفوق الريح أسرْى

باحثاً فى عُلبِ الساسةِ عن وجه الهويه

راحلاً فى ثَورةِ الرَّفض وفى أفْقِ الأمانى

فى بحور الشعر فى زيتِ الفنارات القصية

فى متاهاَت القوافى

فى اندلاع الذاتِ ... فى لفح الأغانى

فى البشارات – النبوءات –" ودرويشُ" [1] انفجارٌ خلف جـدران القضيه

---

(1) الشاعر الفلسطينى:محمود درويش،والبيتان التاليان من شعره.

وطنـــى : يُعلِّمنـــى حديـــدُ سلاســـلى

عُنْـــــــــفَ النســـــــــور وَرِقَّـــــــــةَ المتفائـــــــــل

مـــا كُنْـــتُ أعْـــرفُ أنَّ تحـــت جلودنـــا

مـــــــــيلاد عاصـــــــــفة وعـــــــــرْس جـــــــــداول

- أشْعِلُ النار على كلِّ الحدودْ

باحثاً عن أَول القَيْد ...

... وعن نافذةٍ تدخل منها ثُـلَّةَ الشمس وأسْرابُ الرعودْ

وأنا آكل بَعْضى

كلما أشعلت نارى

سـرَقوا الضـوء ولم يَبْـزُغْ قـرارى

جَرَّدونـى مـن سـلاحى طردونـى مـن كفـاحى!!!

واجهـونى بجراحـى حاصـرونى برمـاحى

- وأنا الآن غريقٌ فى نهارى

بيمينـى البندقيـة وبعينَـيَّ القضـيةْ

وأمامى ظلُّ أطفالى منارى

لم أعُد أعْرفُ جارِى

- فقديما عَبروا العَصْر إلى شط نزار ... ومعدٍّ

... وعلى النجِمْ أقاموا فى اقتدارِ

- أشعل النار بجيرانى وإخوانى ...

... فهم قد أَحرقوا عمرى ودارِى !!!

أعبرُ النار إلى شط النهارِ

أحفُر الآن براكين انتصارى

إنهم قد دخَلُوا المسجد فى أولِ مرهْ

لن يَعُودوا ... لن يَعُودوا

فأنا العائدُ من أزْمنةِ النَّفْي ...

... على كفَّيَّ أطفالى وفى عيْنيَّ ثورهْ

عائدٌ من ظلمة التيه ...

... ولى بين ضياعى ووجودى ألْفُ كرَّةُ

عائدٌ...

... فوق جواد البرق فى ضوءِ الرُّعودْ

عائدٌ ... ...

... أصنعُ تاريخى ...

... وأهدِى ولدِى الضائع عُمْرهْ

عائدٌ ...

... أكتسح الليل ...

... وأبنى للغد التائه فَجْرَهْ

مصر - الزقازيق 1983م

الظل المضئ (•)

كان فى قمتهِ ظلا مضيئا !!!

كان فى غضبتهِ طفْلاً بريئا !!!

كان فى حقل المروءات لنا كَنْزاً خبيئا !!!

* * *

- **كان ' جذْع النخلة ' القمراء هزته العذارى**

  فاستدار العود ... والحظُّ أنارا

  هن ميراثُ زمانٍ سرق العمْر وطارا

  لم يدع فى بيتهِ إلا حكاياتٍ حيارى !!!

(•) نشرت بمجلة الهلال بمصر . مايو 1984م

- **كان حَقْل الحُب للأطفالِ ... فيه يَكْبرُونْ**

وحواليه يُغَنُّونْ

وعلى أغصانه كانوا صباحاً يلْعبونْ

كالعصافير ... على ساقيْهِ كانوا يقفزونْ

- **كان ... يا ما كان ...**

كان نبضاً ... نسج الصِّدْقَ مرايا لأمانى المتْعبينْ

كان صوْتاً...هب من كلِّ الزوايا...حاملاً عِطر الحنِينْ

كان قلباً ... ملأ الكونَ تحايا ... وهو نهبٌ لِلسِّنينْ ! ! !

كان يا ما كان ... لكِنْ ...

غاب عنا صَوْتُه ذات مساءْ

غاب عنا فى ' غروب الشمس '... فى تيه الفضاءْ

رحَلَت عنا ... مراياه ... زواياه ... تحاياه ...

... وما عادت سوى ذكرى وأشلاء ضياءْ ! ! !

الزقازيق – مايو – 1983م

قافلة الغرباء (•)

" إلى رسول الله : محمد بن عبد الله "

" صلى الله عليه وسلم "

أحْمِل فى شريانى الحب ... أجيء إليك على استحياءْ

يا مَن أشرقْتَ علينا بشريعتك الغراءْ

أهواكَ... فأنتَ سقيتَ كيانى معنى البَوْح وسِر الإفْضاءْ

الهمنى سِر الوجد فأنتَ بأرض العُشاقِ سماءْ

وأراك أتيتَ إلى العالم فى قافلة الغرباءْ

(•) نشرت بجريدة الندوة السعودية فى 26 من ربيع الأول سنة 1406هـ ، وبمجلة المنهل بالسعودية 1407هـ

ولأنكَ أدركْتَ الجوهرَ فى عمقِ الأشياءْ

وتساقيتَ رحيق الحقِّ من العلياءْ

صارت خطواتك فوق الأرض ضياءْ

صارت كلماتك آفاقاً تبزغ منها أحلام الشرفاءْ

وإذا ' أبوابُ الجنة ' – أبْوَابُك تُفْتَحُ للفقراءْ

والعالَمُ سيق إليها زُمراً تَغْمَرهُ الآلاءْ

لم توصَد أبْوَابُك إلاَّ فى وجْه الشعراءْ

- فالشعراءُ تراموا بنبال الحرْف العمياءْ

واقتتلوا فى ساحات الكلمات الجوفاء

" يُلْقُون السمع وأكثرهم " مداحٌ هجَّاءْ !!!

وتهاووا ... كلٌ مغروس فى عَيْنيه سهامُ رياءْ

وعلى الأرض قوافيهم برَزت كالأحشاءْ !!!

ما وهبت للعالم كلٌ بحورِهمُ قطرة ماءْ !!!

وسفائنهم فى الزيف تجدف فالدينارُ هو الميناءْ

" ما يأتيهِم من ذِكْرٍ من ربهمُ " وَضَّاءْ ...

..." إلا استمعوه وهم " والصخْرُ سواءْ

- وجوادُ الشعرِ يسابق ظل الريح بقَلْب البيداءْ

لكنْ يكبو ويخر غريقاً فى كأس الندماءْ

تَشربُ من دمهِ الأسماعُ فتغدو أحْجاراً صماءْ !!!

وتُحدِّق فى أطْلال بقاياه الأعينُ وهْي حروفٌ بكْماءْ

فالشاعر تَصْنَعُه فى عالِمنا رَغَبَاتٌ بَلْهاءْ

والشاعرُ إذْ يَصْدُق تَقْتُلُه كلماتُ السفهاءْ !!!

والشاعرُ إذْ يشرِق تَخْنُقُه ظلُماتُ الجهلاءْ !!!

والشاعرُ إذ يَسبح تَبْلَعه حيتانُ البلهاءْ !!!

والشاعرُ إذ يتمرد بسجَنُ فى قافية الجُبناءْ !!!

والشاعر عندكَ ... يا مَن جئتَ بملتك السمحاءْ ...

... حطابٌ يَحْمل فأساً فى الصحراءْ

يجْرِى فيها الأنهار ... وينسِج للعريان كساءْ

والشاعر سلطانٌ ...

... يَحْمل فوق الظَّهر إلى الأطفال غذاءْ

سيفٌ مسلولٌ فى وجْه الأقذاء

قلبٌ بأذانِ الحقِّ خَفوقٌ يورق بالأمل الوضَّاءْ

لا يحْرقُهُ الجمرُ الملقى فوق الأنداءْ

والشاعر صديقٌ ...

... يَنْزِع سيفَ الردة من ظِلِّ الأعداءْ

يجعل مُلْكَ المتنبى فى طوفانِ الريح هباءْ

ويطارد جيشَ مسلمة الكذاب بكلِّ الأجواءْ

من فوَّهةِ الموتِ يجئُ ... يُشَيِّد ملحمةَ الشهداءْ

ويقيم من الجثث العابرةِ زمان الوهم جسور بقاءْ

يَصْرَعُ جبل الباطل يجعله سفْحاً من أَشلاءْ

يمسخ شيطان النقمة ... يجعله بعضَ دماءْ

والشاعر كونٌ مفتوح ... يَنْبُتُ فى خضرتِه البسطاءْ

الشاعرُ كنزُ نبوءات لا يدركها إلا من يَقْتحمُ الأرجاءْ

هل يْفهَمُ هذا الشعراءْ ؟

هل يفْهَمُ هذا الشعراءْ ؟

الزقازيق – غرة ربيع الأول سنة 1403هـ

16 من ديسمبر سنة 1982م

الجبـــل (•)

" فـى مكَّـة كانـت الرحلـة بـلا غيـوم،

والراســيات تعــانق أحــلام النجــوم،

ومن شرايين الصخر تتفجَّر أنهار الضياء،

" وتــرى الجبــال تحســبها جامــدةً

وهــــى تَمُــــرُّ مَــــرَّ الســــحاب"

(•) فازت هذه القصيدة بجائزة الشعر الأولى فى المسابقة التى أقامها نادى القصيم الأدبى بالسعودية سن 1405هـ . على مستوى العالم العربى .

نشرت بجريدة : الندوة . السعودية .

ونشرت بمجلة القافلة المصرية عدد سبتمبر سنة 1985م ومجلة الأزهر - بالقاهرة

أنـــى أَسِـيرُ يَضُـمُّنى الجبَـل ∴ فكـأننى فـى الصـخر أرتحـلُ

مـــن كـــلِّ زاويـــةٍ ملامحـــه ∴ تبـدو..وفى الأجـواء تنتقـلُ

فكأنـــه عـــينُ الوجـــود إلى ∴ قَلْـب الخفايـا لمحُهـا يصـلُ

حمـلَ العصـورَ الشـمَّ كاهلـه ∴ وهو الفتُّي..وليـس يكتهِـلُ

مـــتجهم جـــرداءُ قمتُـــه ∴ لكنَّـــه بـــالخير يشـــتعلُ

مُـدَّتْ إلى الغيمـات راحتُـه ∴ فـإذا بجـرح الكـون ينـدملُ

وإذا العـــوالمُ مـــن بحيرتـــهِ ∴ يُسْقَوْن فـيض العـز إذ نهلـوا

قـدمُ الرضـيع تهُـز جبهتَـهُ ∴ فـــإذا بـــه لِلطفـــل يمتثـــلُ

وإذا بعـــينِ الحـــبِّ مشـــرقةٌ ∴ والأُمُّ يَهجُـر قَلْبَهـا الوجَـلُ

وإذا الطيـورُ علـى مبـاسمهـا ∴ تَضْوى الأغانى وهى ترتجـلُ

وإذا الوجـودُ الطِّفْـلُ تحضـنه ∴ أمُّ القُـرى ويكبِّـر الجبـلُ

أنشـــودةُ التوحيـــدِ منطقُـــه ∴ وعليـــه مـــن لألائهـــا حلـــل

دعـــواتُ إبـــراهيم صـــاعدةٌ ∴ فإذا الصحارى وجْهُها خَضِلُ

وحــراءُ نبــعٌ فــى تماوجِــهِ ∴ الأَرْض بالعليـــاء تتصـــلُ

صـخرُ ومنــه تفجـرت شـهبٌ ∴ ولهـــا بكـــلِّ منـــارةٍ شـــعلُ

" إقـــرأ تعـــالى الله قائلُهـــا " ∴ فـإذا الجبـالُ الصـمُّ تبتهـلُ

وكـأن زمـزم منــه قـد سُـقيت ∴ والعـالَمون لسِـرها ارتحلـوا

فَهِـــيَ الأمـــانُ لأمـــة غَرِقَـــت ∴ ولكلِّ مـن ضـاقت بـه السُّبُل

* * *

والأمـــة الحـــيرى ممزقـــةً ∴ تسعى ولِكْنْ سعْيُها فشلُ!!!

لم تصْـفُ أنْهـارُ الحيـاة بهـا ∴ فحقولها ينمو بها الكَلَلُ!!!

مـا شـاده الأمْجـادُ قـد وأدت ∴ وبـدت كـأنَّ جديـدها طلـلُ

جـبلان تسـعى الـدهر بينهمـا ∴ لم تَدْرِ كيف السعىُ والعملُ!!!

والأمنيـــاتُ إلى مِنـــى سَـــبَقَتْ ∴ والقلـبُ تَسْبـِقْ نبضـه المقـلُ

فهنـا الجبـالُ تخلقـت شـررا ∴ فَهل الرمـاةُ لبَغـيْهم قَتَلُـوا ؟

هـل يَرْجُمُـون الإثـم فـى زمـنٍ ∴ الآثمون به..همُ الـمَثَـل؟!!!

أم يَرْجُمُـون الكُفـر فـى زمـن ∴ الكافرون سُيوفَهم صَـقَلوا ؟!!!

أم يَرْجُمـون الخُلْـف بيـنهمُ ؟ ∴ وقلـوبُهم تَغْلـى وتَقْتَتِـلُ ! ! !

صـاروا قبائـل مـا وعـت نسـبا ∴ بدم الشهيد تَظَل تغتسـلُ ! ! !

هـذى حـدودهمُ قـد اشـتعلت ∴ والنـارُ شـيطانٌ لـه حِيَـلُ

هل يَرْجُمون الجوع فى غدهِم ؟ ∴ والسارقون لكَنِزْهم وصلوا ! ! !

أم يَرْجُمُـون الحِقـد بيـنهمُ ؟ ∴ والحاقدون بذاتهم دَخَلُوُا ! ! !

أم يَرْجُمُون الجَـدْب فـى زمـنٍ ∴ المجدبونُ همُ..وقد كسلوا ! ! !

لم يقطفـوا الأسـرار إذْ بزغـت ∴ تُـوحى إلِـيهِم أنهـم رجُـلُ

عرفـاتُ عـرَّفهم مسـالكهم ∴ فالكـلُّ قلـبٌ صـارمٌ وجِـلُ

رحم الوجـود هنـا قـد ائتلفت ∴ والرحمة الكـبرى هنـا جبـلُ

وهنا خطَى المختار قـد خطـرت ∴ فاخضـر فـى أرْواحِنـا الأمـلُ

وهـج الـوداع حروفـه أَلَـقٌ ∴ أحيـا الوجـود فمـا بـه علـلُ

مـن كـل فـجٍّ أقبلـت زمـرٌ ∴ وقلوبُهـا لله تمتثـلُ

لبَّـتْ نـداء الحـق ضـارعةً ∴ فسمَتْ وعنها قد نـأى الزلـلُ

الطـائفون ... الراكعــون هــمُ ∴ ليســوا بغــيرِ الله قــد شُــغِلوا

* * *

أَلِفُــوا بظــل البيــت أمْــنَهمُ ∴ فَســقَتْه مــن أَشــواقهم قُبَــلُ

وإذا الوجــود الطفــل تَحْضُــنه ∴ أمُّ القرى ... ويكِّبر الجبــلُ

أنشــودة التوحيــد منطقُــهُ ∴ وعليــه مــن لألائهــا حلــلُ

مكة المكرمة فى : 16 من جمادى الأولى سنة 1405هـ
6 من فبراير سنة 1985م

الأزهر والطوفان (•)

عَلَـمُ الكنانــة فــى وجــودِك يَخْفِـقُ

ورؤى الخلـــــــود علـــــــى جبيـــــــك تُشْـــــــرِقُ

وجلالُـــك الوضـــاء فـــى آفاقنـــا

عـــــــبر العصـــــــور علـــــــى المـــــــدى..يتألَّقُ

يـــا أَزهـــر الـــدنيا..بنورك أزهـــرت

مهـــــــج الليـــــــالى والبـــــــوادى تـــــــورقُ

(•) نشرت بمجلة كلية اللغة العربية العدد الثانى سنة 1984م
ونشرت بمجلة الأزهر 2003م .
وكتبت عنها دراسات نقدية كثيرة .

مــن ألْــفِ عــامٍ فــيض ذاتــك مــائج

وبكـــــــــل عصـــــــــر ضـــــــــوءكم يتـــــــــدفَّقُ

مـــا أنـــتَ مئذنةٌ..وصـــرحٌ شـــامخٌ

بـــــل أنـــــت هـــــدْيٌ فـــــى القُلـــــوب مُعلَّـــــقُ

أنــت انطــلاق الــرُوح مــن أغْلالهــا

أنـــــت الأمـــــانُ بِكـــــلِّ نفـــــسٍ يـــــبرقُ

* * *

أنتَ الأذانُ ...وأنتَ .. أنـتَ شَـهادةُ

التوحيـــــدِ فـــــى قلْـــــبِ البرايـــــا تعبـــــقُ

أنــت الزمــانُ يُجِــدُّ فــى خُطُواتــهِ

وخُطـــــــاه تَضْـــــــوِى كـــــــالبروقِ وتسبـــــــِقُ

مــن جــوهرِ الإيمــان شــادك جــوهرٌ

فـــــــإذا بضـــــــوئك بِالحقيقـــــــة يَنطـــــــقُ

شَـدُّوا الرِّحَـال وأنـتَ قبلـةُ عاشـقٍ

لنفـــــــائس العلْـــــــم الفريـــــــدةِ يعشـــــــقُ

عـادُوا .. وبـرقُ العلـم فـى أيـديهمُ

والحـــــــقُّ فـــــــى آفـــــــاقهمْ.. يترقـــــــرقُ

فـإذا الجَهَـالاتُ الكثيفـةُ ترتمـى

فـــــى مغـــــربِ الآفـــــاق وهْـــــيَ تمـــــزَّقُ

ومشـى ضـياؤك فـى ظـلامِ كياننـا

فـــــإذا الأمـــــاني فـــــى الحيـــــاةِ تحقَّـــــقُ

أعلامُـــك الغُـــرُّ الميـــامنُ التقـــوا

فـــــى ســـــاحةٍ...العِلْم فيهـــــا الفيلـــــقُ

يسـقون مـن وهـج العقيـدة فِتْيـةً

أرْواحُهـــــــم لرُبَـــــــا العـــــــلا تتشـــــــوقُ

* * *

يـا أزهـر الـدنيا..بنُـورِكَ أزهـرت

مهـــــــج الليـــــــالى..والبـــــــوادي تُـــــــورِقُ

فـى قلْـب مِصْـرَ..تَظـلُّ نبْضـاً ثـائرًا

لا يَسْـــــــتكينُ لمـــــــن يجـــــــور..ويحنُـــــــقُ

لُغـةُ السـيوف لـديكَ أصـدقُ حُجـةِ

إنْ ضـــــــاع عهـــــــدٌ..أو تبـــــــدل موثـــــــقُ

وغـــدوتَ بركانـــاً تفجَّـــر بـــاللظى

فـــــى جوفـــــهِ يهـــــوِى المضـــــل وَيَغْـــــرقُ

كـــالبحر أنتَ..لفظـت كـل مخاتـلٍ

فـــــإذا بـــــه فـــــوق الشـــــواطئ.. يَنفُـــــقُ

المعتـــدُون عليكَ..صـــاح خيـــالهم

أخنـــــى علـــــى مِصْـــــر الجمـــــودُ المطبـــــقُ

فســعوا..يقُودهمُ الغــرورُ لحــتفهم

ركِبـــــوا المحـــــيط وفـــــى جِـــــدارك عُلِّقُـــــوا!!!

وطئــت ثــراك خيولهم..فــإذا بهِــم

فـــــى كـــــلِّ زاويـــــةٍ رمـــــادٌ .. يحـــــرقُ

بقــذائف الإيمــان جنــدك حــاربوا

وبصـــــيحة التوحيـــــد خصـــــمُك يصـــــعَقُ

فكــأنَّ صــحنك للمغــير متاهــةٌ

وعلـــــى النوافـــــذ كـــــلُّ عـــــادٍ يشـــــنَقُ

هــذا عرابــى مــن لهيبــك جَــذْوةٌ

زَحَفَـــــت تصُـــــد المعتـــــدِين وتحْـــــرِقُ

صاحت أمـام الحاكمين..فَـأُلْجِموا!!!

وسمـــــت بحـــــق المعـــــدمين فصـــــفقوا

لســـنا عبيـــدًا فالســـيادةُ دِينُنُـــا

والعبـــــــدُ فـــــــى ظـــــــلِّ العقيـــــــدةِ يعتَـــــــقُ

هــذى ثمــارك فــى الورى..حريــة

بيضـــــــاءُ فـــــــى فِكْـــــــرِ الوجـــــــود تُحلِّـــــــقُ

زغلـــولُ منهـــا نفحـــةٌ مِصْـــريةٌ

فـــــــى عِطْـــــــر مرآهـــــــا الزمانُ..يحَـــــــدِّقُ

هبَّـت علـى الأعـداء وهْـي جهـنمٌ

فـــــــإذا العَـــــــدُوُّ وقودُهـــــــا المتحـــــــرِّقُ

* * *

يـــا أيهـــا المعمـــورُ...هـــذى قِصَّـــةٌ

تُرْوَى..فأنـــــــــتَ الآن ظِـــــــــلٌّ مرهـــــــــقُ!!!

يـذْوى ضـياكَ..ونحن جنـدك لم يعُـد

فينـــــــا ســـــــليمانُ الأبـــــــيُّ .. الأَصْـــــــدَق!!!

بيـديك قـد كانـت مقاليـد الأمـورِ

فـــــأين منـــــكَ اليـــــوم هـــــذا الرونـــــقُ؟

يُصـغى لـك السـلطانُ وهـو مَتـوَّجٌ

واليـــــوم جِيـــــدكُ بـــــالقيود مُطـــــوَّقُ!!!

قـد كـان تاجـك فـى الوجـود حَميَّـةً

للّه.. مـــــــا دام الـــــــورى...لا تخلَـــــــقُ

أيــن الجــلال اليــوم ؟ أيــن أئمــةٌ

مـــن ضـــوء مـــا نطقـــوا..أطـــل الـــمَشْرِقُ؟

هل عاد صَوْتُك فى الوجودِ بلا صدًى؟

هـــل غـــاب أم خلـــف المطـــامع يُخْنَـــقُ؟

* * *

يـا أزهـر الـدنيا...بنـوُرك أزهـرت

مهـــــج الليـــــالى والبـــــوادى تـــــورقُ

قـد عـم طوفـان الجَهَالَـة فاصـنع الــ

فُلـــــــك التـــــــى فـــــــى مَـــــــدِّهِ لا تَغْـــــــرَقُ

تَجْرى..وباســم الله مجْرِيهــا وُمْــر

ســـــــاها وليســـــــت مـــــــن مغِـــــــيرٍ تُخْـــــــرَقُ

ريــح الضــلالة لا تهُــز مســارَها

فشـــــــــراعُها الإيمـــــــــان...لايتمـــــــــزقُ

بيــدْيك دَفَّتهُــا وَمرْفــأُ أمْنهــا

فاعبر..فمثلُـــــــــكَ قائـــــــــدٌ...لا يسْـــــــــبقُ

مــا أنــتَ مئذنــةٌ...وصــرحٌ شــامخٌ

بـــــل أنـــــت هـــــدْيٌ فـــــى القلـــــوب معلـــــقٌ

أنــتَ الأذانُ..وأنــتَ أنــتَ شــهادةُ الــ

توحيـــــــدِ فـــــــى قلْـــــــبِ البرايـــــــا...تَعْبَـــــــقُ

الزقازيق يناير سنة 1983م

الغريـــو (•)

نَضَـبَ الـمَعيــنُ ولم تُعــدْ إلا بقايــا مـــن ســرابْ
قــد كــان بَحــراً مــن حنــان ثــم جففــه العــذابْ
قــد كــان شــاطئه الأمــانَ وعــاد يسـبح فــى اكتئــابْ
لم يَــدْرِ مــا لــون الصــباح ولا المســاءِ ولا الســحابْ

فالصبح...

...مـــرآة تكسَّـــر ضـــوءها فـــوق الهضـــابْ

والليـل...

...نـــايٌ شـــاحبُ الأنغـــامِ مشـــلولُ الربـــابْ

والأُفْـقُ ...

... غابـــاتٌ مـــن الأوهـــام تَسْـــكُنُها الرِّغـــابْ

(•) نشرت بجريدة الشرق الأوسط فى 1985/4/9م

وأنا الغريقُ ...

... ولـــيس مـــوجٌ أو شـــراعٌ أو صِـــحَابْ !!!

فالموجُ ...

... ذكـــرى أبحـــرت نحـــو القـــرارِ بِـــلا إِيـــابْ

والريحُ ...

... تبتلـــع الشـــراع فـــإذْ بـــه مثـــل الـــترابْ

والصحبُ ...

... أين الصحب ؟ فى عَصْفِ الرياح هـمُ الـذِّئابْ !!!

قالـوا ...

... يضَـــيِّع نفســـه مَـــن لم يَسِـــر وسْـــطَ الرِّكَـــابْ

ورؤى الوجـود العـذْبِ عـن دنيـا خُطَـاهم فـى غِيَـابْ

وكـــأننى مـــا كُنْـــتُ فـــيهِم غـــير لمـــح مـــن ضـــبابْ

فأنـا الغريـقُ.. ولـيس مـوجٌ أو شـراعٌ أو صِحابْ !!!

مكة المكرمة فى 5 من جمادى الأولى سنة 1405هـ

26 من يناير سنة 1985م

الطريق (•)

... ولما رَأَتْنِي شريد الخيالْ

وفي لُجة الفكر ... قلبي غريقْ

دَعتْني ... وَألْقَتْ عَلَيَّ السؤَالْ

أما زِلْتَ تخشى انطفاء البريقْ

تبث الظلالَ ... وتَجْنِي الزوالْ !!

وتُحْرِمُ حتى طيوف الرحيقْ

فقلتُ :

(•) نشرت بجريدة الشرق الأوسط فى صفر 1406هـ .

ونشرت بمجلة المنهل بالسعودية فى جمادى الثانية1406هـ.

دعينـــــى ... فـــــإنَّ الـمُحَـــــالْ

يَسُـــــــــدُّ أَمَـــــــــاميَ كُـــــــــلَّ طريـــــــــقْ

فقالت :

نجـــــوم الهـــــوَى فـــــى سَـــــمَاكْ

تضـــــــــئُ ... وتَبْسُـــــــــمُ فـــــــــى خـــــــــاطرِكْ

وفـــى الشـــوق تُبْحـــرُ دنيـــا هَـــوَاكْ

ويُصْـــــــــهَرُ أمْســـــــــك فـــــــــى حاضـــــــــرِكْ

وتمـــــتص زهـــــرَ المنَـــــى شـــــفتاكْ

ويَـــــــــرْقُص قَلْبُـــــــــكَ فـــــــــى نـــــــــاظرِكْ

فَقُلْتُ : اسألينى ...

لـمـــــــــــــــــــــــــاذا أَرَاكْ

تـــــــــئن ... وتَضـــــــــحَك فـــــــــى ظَـــــــــاهرِكْ

فقالت :

وما السر...

قُلْـــــــــــتُ اتركينـــــــــــــى

فـــــــــزورقُ قلبـــــــــى بغـــــــــيرِ شـــــــــراعْ

إلى شـــاطئ السِّـــحْرِ أُلْقـــى حنينـــى

فَـــــــأَقْطفُ منـــــــــهُ ثمـــــــــار الضَّـــــــــيَاعْ

وحـــــين ألـــــوذُ بحضـــــن الســـــنِينِ

تفـــــــــرُّ ... وتكْـــــــــتُمُ حتـــــــــى الـــــــــوداعْ

فَمَـــدَّتْ يَـــديْها ... فَقُلْـــتُ ارْحمينـــى

ظمئْـــــــــتُ وأُســـــــــقِيت نـــــــار الخِـــــــداعْ !!!

* * *

فقالت : وكيف ؟

فَقُلْـــــــــــتُ اطمئنِّـــــــــــى

سأكْشِـــــــف كـــــــل الـــــــذى فـــــــى الخفـــــــاءْ

رَحَلْـــتُ ... وزادي يقـــيني وظَنِّـــي

أفـــــــــتش عنهـــــــــا بـــــــــأُفْق المســـــــــاءْ

وقلْبَـــي نَـــايى ... ورُحْـــتُ أُغَنِّـــى

لعلِّـــــــــيَ ألقـــــــــى صـــــــــدًى للغنـــــــــاءْ

ولَكِـــن لَحْنِـــى ... تبعثَـــر مِنِّـــى

وذاب الصـــــــــدى فـــــــــى فَـــــــــراغِ الفضـــــــــاءْ

فقالتْ : وماذا ... ؟

فَقُلْـــــــــتُ اتْبعينـــــــــى

وإلاَّ ارجعـــــــــى للطَّريـــــــــق القريـــــــــبْ

ولا يَخْـــــدَعَنْكَ حـــــداءُ الظنـــــون

ولا وحشـــــــةُ الكـــــــونِ عنـــــــد الـــــــمَغِيبْ

فَقالَتْ :

وهَبْتُـــــــكَ كـــــــل ســـــــفينى

وعُمْـــــــرِى...ونفْســـــــى...فأنـــــــتَ الحبِيـــــــبْ

فَقُلْتُ :

أخـــــــافُ اشـــــــتعال أنينـــــــى

إذا جـــــــف حَقْـــــــلُ الأمـــــــانى الخصـــــــيبْ !!!

فقالت :

غـــــدٌ خلـــــف جفْـــــن الزمـــــانْ

ففـــــــتِّشْ عـــــــن اليـــــــومِ يـــــــا شـــــــاعرى

أتحصُـــــد عمْـــــرَك قبـــــل الأوانْ

لتجِنـــــــى مـــــــا لـــــــيس فـــــــى الحاضـــــــر؟؟!!!

فمـــــا لِلَّيـــــالى الحِســـــان أمـــــانْ

ولا ربْـــــــــحَ فـــــــــى الـــــــــزمنِ الخاســـــــــرِ

فَقُلْتُ :

قفِـــــى : قـــــد رفضْـــــتُ الهَـــــوَانْ

غَـــــــدِى : جـــــــرسٌ دَقَّ فـــــــى خـــــــاطرِى

فقالت ...

وإنِّـــــــى ســـــــأَقْفُو خُطَـــــــاكْ

ولكِـــــــــــنْ سنسْـــــــــــلُكُ أيَّ طَرِيـــــــــــقْ؟؟

وفـــــى أَيِّ أفْـــــقٍ ســـــألقى رُؤَاكْ

تشُـــــــــب بـِقيـــــــــدك أَلْـــــــــفَ حَرِيـــــــــقْ ؟

تُجَـــــدِّدُ ذاتَـــــكَ : تَسْـــــقى مُنَـــــاكْ

مـــــــنَ الخُلْـــــــد أشـــــــهى وأحلـــــــى رَحِيـــــــقْ

فَقُلْتُ :

الطريـــــــق تـــــــوارى هنـــــــاكْ

وخلـــــــف البحـــــــار يُضَـــــــوِّى البريـــــــقْ

القاهرة سنة 1975م

رسالةٌ إلى الواقف في وجه التيار

حين وَقَفْتَ بوجه التيار

لم تُدْرِكْ أنَّ الموج من الأعْماقِ تَدَفَّقْ

وسفينتُنا أدمنتِ الإبْحارْ

وتبسمتِ الآفاقُ لتحتضنَ شراع الحُب وأَحْلامَ الزورقْ

هل تتوقع ... يا هذا ... أنَّ أمانينا تَغْرَقْ ؟

ومنَ القَلْبْ ينابيعُ هوانا تنطلق وتَخْفُقْ ! ! !

ومنَ الرُّوَح نَسَجْنا فجْرَ الآتى الوَرْديِّ الـمُشرِقْ

وركبْنا والشاطئُ مَدَّ ذراعيْهِ ... ينادِى أحْبابهْ

وشَدَوْنا والموجُ يردد سِحْر أغانينا الجذَّابةْ

وحلُمْنا ... والمجدافُ شراعُ الآمالِ الوَثَّابةْ

ومَضَيْنَا ... والأمواجُ حوالينا... تعلو... تعلو ...!!!

... والشاطئُ ما زال بعيدا ... وبعيدًا ...!!!

ورأيناك أمام الزورقِ حوتًا يَفْتَح فكيهِ ...

... وعيْناه مغاراتٍ وحشيةْ !!!

ماذا تَفْعَل حُورِيَّات البحر ؟

ماذا نَفْعَل نحنْ ؟

يبِست فى شفَتَيْنا أزْهَارُ الكلمات السِّحْرِيةْ

لم تَبْق سوى الآفاقِ الممتدةِ فى أغْوار القلْب !!!

وبقايا خَطَراتٍ فى عَيْنْينا تدرِك ... أين يكون الحُبْ

وشعورٌ وثوريٌّ الوجه يحطم كل الأسوارْ

وهوًى فى الأعماق تعمَّق فى فنِّ الإبْحارْ

وأكاليلُ الشوقِ المزهرةِ بقَلْبَيْنا ليل نهارْ

يا هذا ...

لن نغرق فى السردابِ المجهولْ

حتى لو صيرْتَ الماء أُجاجًا أو جفَّفْتَ النهرْ !!!

أو أحرقت شراعَ أمانينا فى قلب البحرْ

لن تَذْبُلَ آمال القلْب

لن تختنق الأنْجُم فى أفْلاكِ الحبِّْ

لن تصفر الشمس بقلبى أو ينعَق فيه الجدبْ

وحدِيقتُنا الأبدَّيةُ لن تُغتال بها ضَحكاتُ الأزهار

والبابُ ستفُتَحُه أنتَ وينطلق التيار

والشمس ستسكب فى قلب الليل أشِعتها الورديةْ

وتعُودُ الخضْرةُ تَنْزِعُ من وجه الأفق شحوب الآلام

ويعُودُ الزورق فى قلب النَهر يُصَفِّقُ... والموجُ يُغَنِّى...

... والقَلْبُ تُبَارِكُ رِحْلَتَهُ الأيام

وتُقَدِّمُ أنتَ إلى التيارِ الأعذارْ !!!

ذلك أنكَ حين وقفْتَ بوجه التَّيار

لم تدرِكْ أنَّ الموج من الأعماقِ تَدَفَّقْ

وسفينتُنا أدمنتِ الإبحْار

وتفتحتِ الآفاقُ لتحتضنَ الضوءَ الأخضر

وتُرَفْرِفُ فيها أزْمِنةُ الحبِّ وتسبح فيها أحْلامُ الزَورق

مصر - دمياط 1975م

الفارسُ والشمس (•)

الفارس يَركَب أَلْفَ جواد للشَّمْسْ
يحضن نجماتِ الحُب ... يغازلها بالجهر وبالهمسِ
ويداعب غيماتِ الشوقِ بتَذْكارِ الحاضر والآتى والأمسِ
ويطير ... يطير يُغنِّى أحْلامَ العرْسِ

* * *

لَكِــنْ فــى فيضــانِ النُّــورِ الشــمسُ غريقــةْ
تَبْكِـى مــن كَثْــرة مــا شــهِدت مــن آلاءَ وريقــةْ
فاضــت بــالنُّورِ ومــا شــعرت أن الــرُّوح طليقــةْ

(•) نشرت بجريدة الجزيرة بالسعودية 1407-1987م .

يَهْواهـــا الأفـــقُ وتَشـــعُر أنَّ الـــنفس رقيقـــةْ

وأنـا مـن دونِ النـاس لهـا قلبـى صـار حَدِيقَـةْ

* * *

لكـنَّ الشـمسَ حواليهـا السُـورُ منيـعٌ... وَمَنِيـعْ !!!

وفـــؤادى يَنْظُـــر مَشْـــدُوهًا والنظـــراتُ تَضِـــيعْ

يظمـــأ للنـــورِ ... ونـــورُ الشـــمس يَنَابِيـــعْ !!!

يقتـــــاتُ الحرمـــــان أســـــابيعا وأسَـــــابيعْ

وأغانيـــــه السَـــــكْرى مـــــن كفِّيـــــه تَضِـــــيعْ

تتبخـــــر أشـــــواقًا وعـــــذابًا ودمـــــوعْ

تتنـــاثر فـــى أُفُـــقِ الوَجْـــدِ كآهـــاتِ رَضِـــيعْ

والشـــمس حواليْهـــا السُّـــور منيـــعٌ ومَنِيـــعْ

* * *

لكِنَّ جوادَ الحـبِّ سـيعبرُ سـور الحِرْمـان الـذَّهبى

لن يَرْهَب حَجْـمَ السـور ولـن يَحْـذَرَ إيـذاءَ اللَّهَـب

فلديْـــــه إرادةُ قلْـــــبٍ مشـــــبوب لم يشِـــــبِ

ولديـــهِ معـــاولُ إحســـاسٍ مجنـــونِ الغضـــب

ولديـهِ الـريحُ يسـابقها مـن غـير كـلال أو نَصَـبِ

فَلْتَـــتحطَّمْ يـــا سُـــور الحرمـــانِ الـــذَّهبى

* * *

ولتضَـحك مـن خَلْفِـكَ هـالاتُ الشَّـمْسِ الأَلاقَـةْ

ولتَـــرْقُصْ نبضـــاتُ القلـــب الرَّقْراقَـــةْ

وليحضـــن قلـــبُ الفـــارس أشْـــواقةْ

فقريبـاً تَـرْوى ضـحكاتُ الَشـمس سِـباقةْ

وقريبـــاً تشَـــهد روحُ الشـــمس عناقـــةْ

وقريبـــاً ... كـــل الأَنْجـــم تســـكن أحداقـــةْ

* * *

فالشـمس هواهـا الـدفء السـارى فـى الأعمـاقِ

وهواهـــا الحلْـــم المقبـــل فـــى زمـــنِ الأشْـــواقِ

وهواهـــا النـــور الباســـم فـــى الأَحـــدْاقِ

وهواهـــا القلـــب الضـــاحك فـــى الآفـــاقِ

يغمـــر كـــل ريـــاض الحـــب بلحـــن دَفَّـــاقِ

يســـرى فـــى الأفـــق بَعيـــداً عـــن ذُلِّ الأطـــواقِ !!!!

مصر - دمياط 1974م

الشعر بين القديم والجديد

" دراسة بقلم أ . د: عبد الحكيم حسان " رحمه الله "
أســـــتاذ الأدب المقـــــارن والنقـــــد الأدبـــــى
بجامعـــــة أم القـــــرى – وجامعـــــة القـــــاهرة "

لم يشهد تاريخ الشعر العربى من قبل مثل هذا الاحتدام فـى المعركة بين القديم والجديد الذى دارت رحاه فى السنوات الأخيرة . فبالرغم من أن معركة حامية الوطيس حدثت فى العصر العباسى وكانت من الأصالة والحدَّة بحيث كان لكل من أنصار القديم وأنصار الجديد فيها فكرُه وآراؤه فى كـل مـا يتصـل بـالفن الشـعرى، فـإن المعركة الحاضرة تختلف عن تلك فى شئ هام جعل الشعر العربـى

فى العصر الحديث يواجه من الظروف ما لا عهد له به من قبل ، وهو أن حركة التجديد فى الشعر العربى الحديث ترتبط ارتباطا وثيقاً بحركة التجديد فى الشعر الأوربى ، وليست مجرد أصداء للفكر الأوربى العام . صحيح أن الشعر العربى الحديث بدأ نهضته التى اكتملت على يد البارودى على أساس من إحياء التقاليد الشعرية القديمة بما تضمنته من أنماط فى الإبداع ، ومن نظم فى الصياغة وأساليب فى العرض وتقاليد فى التصوير والصناعة وتحديد لمواقف الشعراء من موضوعاتهم واختيارهم لمعجمهم حتى إن مفهوم الشعر كما حدده البارودى لا يكاد يختلف عن المفهوم المتوارث عن السابقين . ولكن الإحساس بوجود تراث شعرى آخر غير التراث العربى سرعان ما بدا يفرض نفسه على حركة الشعر الحديث وهو إحساس بدا واضحا كل الوضوح عند شوقى الذى يعد رغم ذلك قطب الحركة الاتباعية فى الشعر العربى الحديث . كان شوقى مولعاً بالتجديد فى الشعر ورأى فى هذا التجديد رسالة لابد

لشاعر له مثل موهبتـه وإمكاناتـه أن يضـطلع بهـا ، وأنـه – كمـا يقول – " مسئول عن تلك الهبة التى يؤتيها الله ولا يؤتيها سواه، وأنى لا أؤدى شكرها حتى أشاطر الناس خيراتها التى لا تحـد ولا تنفد" . لقد كان مـن هـم شـوقى أن يـأتى مـن مدينـة النـور بقـبس تستضئ به الآداب العربية كما نصحه الخديو ، ولكن الـذى يبـدو فى ضوء ما حققه شوقى بالفعل أنه لا هو ولا الخديو فهم مـن هـذا القبس أكثر من توسيع التجربة الشعرية تحقيقاً لـدرجات أسمـى من الإجادة فى إطار المفهوم التقليدى للشعر . لذلك جـاءت جهـود شوقى فى التجديد محصورة فى هذا الإطار . ولم تكن دراسة شوقى للآداب الأوربية بعامة ولا الأدب الفرنسى بخاصـة عميقـة . فقـد نظر إلى مختلف عصور هذه الآداب واتجاهاتهـا نظـرة واحـدة دون تفريق . فقد قرأ فى الأدب الفرنسى مـثلاً " لافـونتين " كمـا قـرأ " لامرتين " و"موسيه" و"هوجو" وأخـذ عـنهم جميعـاً دون أن يفـرق بين اتجاهاتهم المختلفة فى الشعر . بل لقد اتصل وهو فـى بـاريس

بالشاعر " فرلين" أحد شعراء الرمزية الفرنسية دون أن يدرك أن لهذا الشاعر اتجاها فى الشعر يختلف عن اتجاهات أولئك الشعراء الذين أخذ عنهم . ولذلك انْحصرت فى جهود شوقى فى التجديد على إدخال أنماط شعرية جديدة فى الشعر العربى ولكن فى إطار المفهوم التقليدى للشعر من حيث هوفن .

ولعل هذا هو الفرق الجوهرى بين هذه الحركة الاتباعية والحركة الابتداعية فى الشعر التى ظهرت منذ العشرينيات من هذا القرن . فقد قدمت الحركة الأخيرة مفهوما غير تقليدى للشعر وكان هذا المفهوم أهم موضوعات الخصومة الضارية بين شوقى بوصفه أبرز ممثلى الحركة الاتباعية وبين رواد الحركة الابتداعية الذين عرفوا باسم جماعة الديوان وبخاصة العقاد — ويرتكز هذا المفهوم بصفة عامة على المفهوم الرومانتيكى للشعر ، ولعل أبرز ما يمثله تعريف الشاعر الإنجليزى "وردزورث" للشعر بقوله إنه فيض تلقائى لمشاعر قوية تصبح موضوعا للتأمل من قبل

الشاعر حتى تهدأ وتختزن فى الذاكرة ثم تستعاد بعد ذلك بالتدريج فتولد فى العقل حالة عاطفية شبيهة بتلك التى كانت من قبل موضوعا لتأمل الشاعر – وبذلك ينصرف الشعر عن التركيز على الموضوعات الخارجية كما أرادت له الحركة الاتباعية إلى التعبير عن تلك المشاعر والانفعالات التى يعانيها الشاعر أى يصبح تعبيراً عن تجربة ذاتية . بهذا المفهوم الجديد للشعر مضت الحركة الابتداعية لا فى تزييف الحركة السابقة عليها فحسب بل فى إبداع شعرى جديد فى ضوء هذا المفهوم . وكان هذا أول تجديد لمفهوم الشعر فى تراثنا العربى وبداية لمحاولات متتالية فى هذا الاتجاه انتهت فى أيامنا هذه بما يسمى " الشعر الحديث"[1] .

---

(1) تلافيا لما قد يحدث من خلط لابد هنا من التفريق بين " الشعر الحر" و"الشعر الحديث" . فالشعر الحر حركة عروضية أساسا نشأت فى أحضان المذهب الرمزى – أو بعبارة أدق ازدهرت مع هذا المذهب – بوصفه للتحرر من قيود الأوزان التقليدية= =والتى عدت قيدًا على انطلاق المشاعر وتوجهها الطبيعى فى

غير أن هذه الحركة الابتداعية شاركت الحركة الاتباعية السابقة لها فى وجه من أوجه القصور فيما يتصل بالاستهداء بالتراث الأوربى فى محاولات التجديد فى الشعر . وهو أن كلتا الحركتين لم تستوحيا التراث الأوربى المعاصر أنذاك بل استضاءتا بهذا التراث فى عصوره التاريخية .

الشعر . أما فى العالم العربى فقد بدأت المحاولات الأولى المختلفة فى هذا الاتجاه فى أوائل العشرينيات من هذا القرن وكان المازنى من أبرز روادها . وقد تعددت المحاولات فى كثير من أنحاء العالم العربى إلى أن اكتملت حركة الشعر الحر كما تعرف الآن أو كادت على يد "باكثير" فى الثلاثينيات . ولكن الحركة لم تكتسب قوة دفعها الحقيقية إلا بعد أن شرحت نظريتها بعد الحرب العالمية الثانية وعلى يد نازك الملائكة بصفة خاصة سنة 1947. وكانت فترة ما بعد الحرب هذه هى التى شهدت ما يمكن أن يسمى باللحاق بمسيرة الأدب الأوروبى المعاصر لأول مرة فى العالم العربى الجو الصالح لنموها . وحين كتب الشعر الحديث كتب فى أوزان للشعر الحر كما كان يكتب فى أوربا ومن هنا جاء الارتباط بينهما الذى يمكن أن يكون سببا فى الاختلاط

فكما قرأ شوقى "لافونتين" و"لامرتين" و"هوجو" فى الأدب الفرنسى قرأ العقاد وشكرى والمازنى "وروزورث" و"كولريدج" و"هازلت" و"شيلى" و"كيتس" وغيرهم من الرومانتيكيين الإنجليز. وكان كل من هؤلاء وأولئك ينتمون إلى تراث القرن التاسع عشر وما قبله ، مع أن الشعر الحديث الذى يشغل الشعراء والنقاد فى عالمنا العربى الآن اتضحَتْ معالمه بوصفه اتجاها شعرياً فى أوربا مع بداية العشرينيات من هذا القرن حين كانت المعركة محتدمة بين الاتباعيين والابتداعيين فى مصر وبقية العالم العربى – وبعبارة أخرى فإذن قصيدة " أليوت" "الأرض القفر" التى تمثل بداية الشعر الحديث فى أوربا وكِتَاب "الديوان" الذى يمثل بداية الحركة الاتباعية المعتمدة على النظرية الرومانتيكية الأوربية فى الشعر ظهرا فى وقت واحد تقريباً فلم يفرق بينهما إلا شهور قليلة من الزمن. وإذن فإذا كان شوقى قد فاته الالتفاف إلى الحركة الرمزية فى الشعر التى عايشها فى فرنسا فقد فات العقاد الالتفات

إلى حركة الشعر الحديث التى ظهرت قوية فى الأدب الإنجليزى الذى كان ألمتكأ الأساسى للمحاولات التجديدية عنده ، وبذلك أفلتت المعاصرة من الحركتين جميعاً .

وبالرغم من أن ظهور "الشعر الحديث" بوصفه اتجاها شعريا لم يتم فى أوربا إلا بعد نهاية الحرب العالمية الأولى فإن أسبابه المبكرة ترجع إلى ما بعد عصر النهضة الأوربية – فقد كان من أخطر النتائج التى أفرزها التقدم العلمى الهائل على أثر النهضة أن أفرط الإنسان الأوربى فى التفاؤل بمستقبل هذا التقدم وأسرف فى الثقة بالعلم وفى الإيمان بقدرته على حل كل مشاكل الحياة الإنسانية وكشف أسرارها . ومن ثم نشأ فى حياة هذا الإنسان ما يمكن أن يسمى بالانفصام فى حساسيته أو فى حياته الفنية – فقد رأى أن العلم وحده هو القادر على الوصول إلى الحقيقة وتحقيق المعرفة الصحيحة وأن كل ما يتوصل إليه بغير طرق العلم ومناهجه لا يمكن أن يكون من الحقيقة فى شئ ، حتى

لقد أقر الناس ما أقر العلم وأنكروا ما لم يقر . ولما كان العلم قد طوَّر لنفسه لغته الاستدلالية العقلية الخاصة فقد تواطأ الناس على أن لُغة العلم هذه هى النمط الوحيد من استخدامات اللغة الذى يمكن أن يُوصِّل إلى الحقيقة وتحقيق المعرفة . وهكذا لم يبق أمام الشعر إلا أحد خيارين . فإما أن يمضى فى تمسكه بدعواه أن فى وسعه الوصول إلى ضرب من ضروب الحقيقة وتحقيق لون من ألوان المعرفة كما قرر نقاده ودارسوه على امتداد العصور الخالية ، وأن هذه هى الوظيفة الأساسية له فلا يكون له مناص فى رأى الجماهير من اصطناع لغة العلم التى اعترف لها بأنها الوسيلة الوحيدة لتحقيق مثل هذه الغاية . أو أن يتمسك بلغته هو التصويرية الإيحائية التى اعتادها منذ نشأته الأولى فلن يكون له مناص حينئذ من أن يشغل نفسه بشئ آخر غير الوصول إلى الحقيقة – دعواه الجمالية – بعد أن تخلى عن الوسيلة الموصلة إلى ذلك وهى اللغة المنطقية الاستدلالية – بهذا الانفصام بين الشعر

والعلم بدأت أزمة الشعر فى العصر الحديث .

لقد أدى التشكيك فى العاطفة بوصفها وسيلة للوصول إلى المعرفة إلى نتائج بالغة السوء بالنسبة للشعر . فقد انتهى هذا التشكيك بالمقابلة بين ما هو علمى وما هو فنى نتيجة للمقابلة بين ما هو عاطفى وبإحلال كل ما هو من نتاج العاطفة والخيال من أخلاقيات وجماليات وقيم ومثل منزلةً أدنى من منزلة الحقيقة العلمية . وفى مواجهة هذه الموجة الكاسحة للعلم اضطر الشعر إلى أن يتنازل عن بعض أرضه وأن يُعلىِ من مكانة تلك التجارب الشعرية المرتكزة على العقل والواقع ، وأن يَغُض من قيمة التجارب القائمة على العاطفة بوصفها غير يقينيَّة لأنها صادرة عن الخيال . على هذه المبادئ بشكل إجمالى قام أول مذهب أدبى منظم فى أوربا وهو مذهب "الكلاسيكية الجديدة" الذى آمن بالعقل وجعله مصدرا للإبداع الفنى ومال إلى استخدام لغة تجريدية استدلالية تشبه لغة العلم فى دقتها وضبطها وتحديد دلالاتها .

أما استثارة العاطفة – وهو عنصر يعترف هذا المذهب بأن لا غنى عنه فى الشعر – فقد وكل أمره إلى البديهة والوزن وضروب من الصناعة عدت بمثابة الإضافات إلى جوهر التجربة الشعرية – ولما كانت قراءات شوقى فى الأدب الفرنسى قد اتجهت أكثر ما اتجهت إلى شعراء هذا المذهب فقد انعكس كثير من آثار المبادئ السابقة – كالنزعة العقلية واللغة الاستدلالية والعناية بالصنعة وغير ذلك – على شعره وبخاصة ذلك الذى يمثل أبرز محاولاته التجديدية .

ظل أمر الشعر الأوربى ملكا للمذهب الكلاسيكى الجديد هذا إلى أواخر القرن الثامن عشر حين اكتملت حركة التحول فى الذوق الأوربى عن هذا المذهب فحل محله بالتدريج " المذهب الرومانتيكى" الذى سيطر على مقدرات الشعر منذ أوائل القرن التاسع عشر . وبالرغم من التباين الواضح بين مبادئ هذين المذهبين فإن التحول فى وضع الشعر الأوربى لم يكن حاسماً .

فبالرغم من أن هذا المذهب الجديد أعلى من شأن الخيال – بدلا من العقل – فجعله مصدر الإبدع الفنى ومن أنه قدس العاطفة وجعلها وسيلة للمعرفة الحقيقية ومن أن الرومانتيكيين – وبخاصة فى انجلترا – قاموا بمحاولات جادة لإصلاح لغة الشعر فإن المذهب الرومانتيكى لم يستطع التخلص من ازدواجية "التراث" و"الموضوع" رغم الصلات الوثيقة التى أقامها بينهما وكان هذا المذهب الرومانتيكى هو الذى أوحى إلى الحركة الإبتداعية فى الشعر العربى بمبادئها واتجاهاتها تلك الحركة التى قادتها جماعة الديوان بعد غروب شمس هذا المذهب بما يزيد على سبعين عاما . ولم يكد ينتصف القرن التاسع عشر حتى عادت سيطرة النزعة العلمية من جديد معتمدة على تلك الإنجازات الهائلة التى حققها العلم فى تلك الفترة . وقد مهد ذلك لظهور المذهب الواقعى والمذهب الطبيعى اللذين جعلا من الفن بعامة أداة للإصلاح الاجتماعى فتحول الأدب إلى وصف لمواقف موضوعية يقاس على

الوصف العلمى موقعا وغاية ولغة . وأمام هذا الموجه العاتية من المد العلمى حدث الجزر الرومانتيكى . ولكن هذا الجزر لم ينته إلى انحسار كامل . فمع بداية الربع الأخير من القرن التاسع عشر أو نحو ذلك هب الخيال ليتدارك. أمر الشعر الأوربى ، وكان الشاعر الأمريكى المشهور " أدجار ألن بو" هو ممثل هذه الانتفاضة الجديدة التى التقطت الخيط من الرومانتيكيين وسرعان ما تلقى الشاعر الفرنسى " بودلير" بواكير هذا الاتجاه فجعلها أساسا للمذهب الرمزى الذى ما لبث أن ازدهر فى فرنسا . وقد ركز الرمزيون على إصلاح لغة الشعر ونجحوا فى إرجاع قيمتها الإيحائية إليها لكى تصبح قادرة على التعبير عن دقائق الرؤية الشعرية المسرفة فى الذاتية . ولكن إسرافهم فى هذا الاتجاه أصاب لغتهم بقدر غير قليل من الغموض وألقى على رؤيتهم غشاوة من الضبابية مما أعجزهم عن التواصل الحميم من قطاع عريض من جمهور الشعر . وقد تطور هذا الانسحاب من المواقف العقلية

واللجوء إلى المواقف العاطفية فى الشعر من الرمزية إلى التصويرية إلى ما فوق الطبيعية مما أدى إلى أن يظهر فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين شعر استبعدت منه العناصر العقلية جملة فانغمس فى نزعة عاطفية مسرفة. ولكن هذه الفترة نفسها شهدت رد فعل لها ممثلا فى "البرناسية" أو "مذهب الفن للفن" الذى حرص على أن تتوافر للشاعر كل عناصر الخبرة والعلم والأصالة ، بحيث يكون إنتاجه ذا أثر فكريٍّ واضح . أى أن هذا المذهب – على عكس الرمزية – ربط بين الشعر والعلم بكل ما يستتبعه ذلك من أجواء ، من دور العاطفة وانصراف عن اللغة الإيحائية ، حتى لقد بلغ الاستقطاب بين هذين الاتجاهين المتعارضين غايته فى أواخر العقد الثانى من القرن العشرين .

فى جو هذا الاستقطاب فى الحركة الشعرية الأوربية نشأ الشعر الحديث الذى بشرت به قصيدة "إليوت" المشهورة "الأرض القفر" . لم يكن فى وسع هذا الاتجاه الشعرى الجديد آن يسير فى

ركاب مذهب الفن للفن بنزعته العلمية وارتكازه على مبادئ وصفية وتجريبية وبلغته الاستدلالية وجريه وراء الحقيقة الموضوعية باعتبار أن الإسراف فى ذلك من شأنه أن يشوه النظرة التى نُظِر عليها الشعر . ولكنه من ناحية ثانية لم يكن فى وسعه أن يستسلم للعاطفة المسرفة والضبابية القائمة التى خَلَّفَتْها التصويرية وما فوق الطبيعية . لقد أحس الشعر الحديث بأن عليه أن يخلص لفطرة الشعر من ناحية وأن يفى بمتطلبات الحساسية الحديثة من ناحية ثانية . فالتنكر لفطرة الشعر إغفال للطبيعة والتغافل عن سيطرة العلم إغفال للواقع . لم يكن أمام الشعر الحديث إلا أن يبدأ من الأصول التى قامت عليها كل من الرومانتيكية والرمزية وأن يصحح أخطاءهما ويكمل ما عجزنا عن إكماله . لقد كانت مهمة الشعر الحديث أساسا أن يرد العناصر العقلية إلى الشعر العاطفى وأن يصحح أخطاء الرمزيين الفرنسيين فى طريقة استخدامهم للغة الإيجابية . أما العناصر العقلية ما كان

لها أن تتحقق فى الشعر إلا عن طريق القيم والمثل التى عَرَّضَتْها روح العلم للاهتزاز ووضَعَتَها موضع التساؤل فافقدتها فعاليتها بين الناس. ولذلك أصبح على الشاعر الأوربى الحديث أن يبتدع قيمه ومثله بنفسه وأن يحاول توصيلها إلى قرائه . ومن هنا جاءت صفة التركيز على الخاص لا على العام فى الشعر الحديث ، وفردية الرؤية الشعرية وخصوصيتها لدى الشعراء . لقد كان من أهم الانجازات التى حققها "إليوت" للشعر الأوربى الحديث أن أرجح دور العقل فى الشعر وجهد فى شعره أن يُوحِّدَ بين الفكر والعاطفة ، وأن يحول الملاحظة الفردية إلى حالة عقلية وأن يحقق إدراكا حسيا مباشراً للفكر من خلال الشعور . وإنما قام "إليوت" بهذه الانجازات لأن القيم والمثل التى يحاول الشاعر الحديث توصيلها إلى قرائه ليست إلا تجريدات عقلية أو بعبارة أخرى أفكاراً . ولكن هذه التجريدات العقلية أو الأفكار لا يمكن التعبير عنها فى الشعر بلغة استدلالية منطقية لأن هذه لغة العلم

والفلسفة حيث تبقى هذه الأفكار على حالتها التجريدية حتى بعد التعبير عنها . أما إذا أريد التعبير عن هذه الأفكار فى الشعر فلابد من تجسيدها بعد أن كانت مجردة ومن تخصيصها بعد أن كانت عامة وذلك ليدركها القارئ بحسه لا بفكره. ومن هنا يأتى الجانب الثانى من مهمة الشعر الحديث وهو الاهتمام باللغة الإيحائية غير المباشرة بوصفها وحدها اللغة القادرة على تجسيد الأفكار والتعبير عن الرؤى الشعرية . لذلك وظف الشعراء المحدثون الأسطورة واستخدموا الرمز والصور الشعرية بطريقتهم الخاصة ولجأوا إلى السخرية والمقابلة التصويرية وحرصوا على مناسبة الوزن والإيقاع والعبارة الدرامية باعتبار كل ذلك وسائل للمزج بين عنصرى الفكر والعاطفة من ناحية ولتجنب المواجهة الصريحة مع أوضاع ينكرونها ولكنها مستقرة ومسيطرة . وعلى هذا فالشعر الحديث يقوم على الفكر والحس معاً ويحرص على أن يوجد هذان العنصران فيه ممتزجين لا متجاورين . لأنهما يكونان

رؤية شعرية تعد الوحدة من أهم صفاتها . ظلت حركة الشعر الحديث فى أوربا هذه مُهْمَلَةً من جانب شعرائنا ، وتعاونا على امتداد نحو ثلاثين عاما من نشأتها فى أوائل العشرينيات إلى بداية الخمسينيات. ولكن الظروف كانت قد مهدت الطريق أمامها نحو الشرق العربى ولغيره من أنحاء العالم . فقد كان من آثار الحرب أن أيقظت اهتمام الناس فى كل مكان بما كان يجرى من أحداثها فى أى ركن من أركان المعمورة مما ولد إحساساً بوحدة مصير البشرية وبأن ما يجرى حول الإنسان له تأثيره المباشر على حياته مما يدفعه إلى معرفته ورصد حركاته واليقظة إلى إيقاع الحياة بصفة عامة من حوله . وقد غذت الثورة العلمية والفنية فى وسائل الاتصال هذا التطلع إلى المعرفة وأمدته بما كان يجرى فى العالم أولاً بأول فى مختلف شئون الحياة . وهكذا عرف مثقفونا وشعراؤنا ونقادنا بصفة خاصة كيف يفرض الشعر من حولهم بعد أن كانت وسيلتهم لمعرفته قاصرة على قراءة تاريخه . ولعل مما

ساعد على سرعة انتقال حركة الشعر الحديث هذه إلى الشرق العربى ذلك التطور فى عروض الشعر العربى الذى بدأت تجاربه الأولى واستوى على سوقه خلال الربع الثانى من القرن العشرين، وبذلك وجد الشعر الحديث الأداة التى يستطيع الاعتماد عليها معدة سلفا . وهكذا أصبح الشعر الحر قرينا للشعر الحديث بعد أن ظل حركة عروضية خالصة طوال ربع القرن المشار إليه آنفا . وهنا نحس أن سؤالا يفرض نفسه ، وهو : هل كان ظهور حركة الشعر الحديث فى العالم العربى مجرد اقتباس ونقل ومحاكاة لما يجرى فى الغرب ؟ والقضية فى الواقع لم تكن بهذه البساطة . فالتواصل بين الشعوب لا يكفى وحده لقيام علاقة التأثير والتأثر بينهما . فلابد للمتأثر من أن يكون معدا لتلقى التأثير . فالتأثير ليس أمراً سلبياً يقوم على مجرد التلقى بل هو أمر إيجابى يتطلب من الاستعداد والقدرة على التقبل والهضم والتمثيل ما يتيح للظاهرة الجديدة أن تحيا حياتها الطبيعية فى بيئتها الجديدة وهى حياة

لنْ تختلف قليلاً أو كثيراً عن حياتها الأولى نظراً للظروف لا يمكن أن تتوافق تمام التوافق فى بيئتين مختلفتين .

ولهذا فقد أصبحت حياة الشعر الحديث فى العالم العربى مستقلة فى تطورها ونموها عن حياته فى الغرب رغم اشتراك الحركتين فى المبادئ العامة لأن ظروف التطبيق تفرض على هذه المبادئ قدراً من التنوع رغم وحدتها . بل إننا لنجد أن الأمر لم يقف عند حد اختلاف ممثلى حركة الشعر الحديث عندنا عن أقرانهم من الأوربيين بل تعداه إلى أن يختلف أولئك فيما بينهم فى مقدار التقيد بهذه المبادئ والتحرر منها بحيث أصبح لكل منهم طريقته الخاصة فى الإسهام فى هذه الحركة العامة . وليس هذا بالأمر المستغرب لأن الحركة لا تزال فى بدايتها فى العالم العربى ولم تصل بعد إلى مرحلة الاستقرار المسلم به ، وليس أدلّ على ذلك من أن الجدل المحتدم بيننا حول "الحداثة" لم يقف عند مشروعيتها أو عدم مشروعيتها بالنسبة لشعرنا العربى ، بل

تعدى ذلك إلى مفهوم الحداثة نفسه وهو ما يمكن أن يلمس لما لا يقبل الخطأ لا فيما يتحدث به المتحدثون عنها بل فيما يكتبه المؤلفون أيضاً . من هنا كان من الطبيعى أن يعمد كثير من شعرائنا إلى أن تكون له طريقته الخاصة فى المشاركة فى هذه الحركة التى تبقى لها مع ذلك سمات عامة تضمن لها الوحدة.

هذه خواطر ثارت فى ذهنى عندما قرأت المجموعة الشعرية "المرايا وزهرة النار" للزميل والشاعر الدكتور / صابر عبد الدايم . وقد جمع الشاعر فى قصائده التى تتكون منها المجموعة بين الرؤية المستقلة وبين السيطرة على الأداة ومن هنا جاء ذلك الإحساس الذى يتولد فى نفس القارئ من ضرورة قراءة القصيدة من أولها إلى آخرها . وربما تتميز المجموعة أكثر ما تتميز بالتنوع فهى تجمع بين القديم والجديد وبين العمودى والحر وبين الرمز والتصوير وتمزج بين التاريخ والحياة وبين الذات والمعاصرة – فالشاعر يعمد إلى الرمز حين لا يريد المجابهة بالإنكار وحين

يسيطر الهمس فى احتجاجه على الجهر وهنا تكتسى القصيدة غلالة من الغموض يحدد الشاعر كثافتها بدقة . فهو يقول فى قصيدة بعنوان "سباق" :

سيارتى تعدو برغم إشارة حمراء قالت : قف هنا
ومرقْتُ لا أحنى خطاي إلى إشارات المرور
كان بى مسًّا من الجن المغامرِ
عرشُ بلقيس يحث خُطايَ
من قبلِ ارتداد الطرف أحْضِرُه لأتخذ الكواكب موطنا
لكن أراكِ وَقفْتِ عند المُنْحَنى
لم تعبرى السور الحديديَّ الذى عاقت يداه سباقَنا
لم تَقْفزى خلف الرياح وتصرعى ظِلَّ الثباتِ وتعبرى آلامنا
□ إلخ .

ولكن الرمز يشف أحيانا عما وراءه إذا كان موقف الشاعر يتسم بالأمل والتفاؤل ولا يجنح إلى الإنكار رغم إدراكه لما ينطوى عليه

موقفه من مصاعب . يقول فى قصيدة " الفارس والشمس" :

الفارسُ يركب ألف جواد للشمس

يحضن نجمات الحب يغازلها بالجهر وبالهمس

وبداعب غيمات الشوق بتذكار الحاضر والأمس

ويطير يطير يُغَنَّى أحلام العرس

لكن فى فيضان النور الشمس غريقةْ

تبكى من كثرة ما شهدت من آلاء وريقَةْ

فاضَتْ بالنور وما شَعرَتْ أن الرّوُح طليقة

يهواها الأُفْق وتشعر أنَّ النفس رقيقَةْ

وسواء غمض الرمز كما فى الأبيات الأولى أو شف كما فى الأبيات الثانية فإنه يتسم فى القصيدتين بالاطراد لأن بناء كل منهما يقوم على الرمز الذى يسرى فى القصيدة من أول بيت فيها حتى آخر بيت . ولذلك ظل المتحدث والمخاطبة فى القصيدة الأولى هما هما لم يتغيرا إلى آخر القصيدة كما ظل الفارس هو الفارس

والشمس هى الشمس إلى آخر القصيدة ، رغم اختلاف القصيدتين من حيث كثافة الرمز وشفافيته .

وقد يلجأ الشاعر أحيانا إلى السخرية وإن كان لا يقبل عليها ذلك الإقبال الذى يجعل منها ظاهرة فى هذه المجموعة . والسخرية أداة من أكثر أدوات التعبير شيوعا فى الشعر الحديث حين ينكر الشاعر قيم مجتمعه وأوضاعه ويحس أن ليس فى وسعه أن يغير ما ينكر . وإنما يلجأ إلى السخرية لأنها لا تصرح بالأفكار وإنما تتضمنه فهو ينكر ضمنيا ويغير صراحة كما يبدو . يقول الشاعر :

ولا تسألينى
لماذا انصَهَرْتَ بنار الشموس
فقد عَلَّمتنى دُرُوُبِكِ
أن الخديعةَ لبُّ الذكاء
وأن التحايل ظِلُّ الثراء

وأن التسلط حِصنُ الإباء

وأن المروءة أفْق الغباء

وأن التكاشف طِفْلُ الهباء

وأن القويَّ الذى يتخطى الرقاب

وأن الشريف الذى فى يديه الحراب

ومهما يُكَسِّر كل المرايا

ويسرق ضَوْء المناراتِ فهو المجاب .

ويستدعى الشاعر التاريخ أحيانا يستعين به على توضيح رؤيته للحاضر ولكن استدعاء التاريخ عنده لا يكون إلا إذا كان الحاضر ذا صلة ما بالتاريخ ولذلك يجئ الاستدعاء طبيعيا محققا لما يراد منه من تأثير . بل إن الصلة بين التاريخ والحاضر لتبدو وثيقه عند الشاعر لما يعمد إليه أحيانا من اكتشاف وسيلة لغوية تشير إلى هذا الارتباط يستغلها الشاعر بنجاح توثيق هذه الصلة ومضاعفة تأثيرها على القارئ . ومن تلك الوسائل اللغوية التى اكتشفها

الشاعر واستغلها استغلالا حسنا اسم"سليمان" فى قصيدة الشهيد:

يا سليمان أأقبلت مع الطير وشاهَدْتَ مواويل الحيارى

أحرفًا مكسورة الإيقاع ...

...فى دوامة العصر وفى وجه الزمان الصخر ما زالت تدور

والمرابون أضاعوها على كل الجسور !!!

بعثروها فى سراديب اللغات !!!

أطعموا الحيتان منها والصقور !!!

* * *

وإلينا جئت من ذاكرة النار دَمًا تسكن فيه كربلاءْ

جئْتَ فى عصرٍ به سَيَّان لون الورد أو لون الدماءْ

جئتنا فى زمن الرعب وأطْلَقْتَ رصاص البدء ...

... فانجابت سحاباتُ الحكايةْ .

فامتط الآن جواد الريح واعبر حاجز التيه وهَدِّم كُلَّ أسوار الوصاية

* * *

وإذا كان استدعاء التاريخ يكشف عن ارتباط الرؤية الشعرية لدى الشاعر بالتراث فإن هذا الارتباط بالتراث ليتجلى فى أداته التعبيرية بما يقدر من اقتباسات وإشارات إلى التراث – فالشاعر كثيراً ما يقتبس من القرآن الكريم ويحرص على أن يكون الموقف الذى تكشف عنه الآيات المقتبسة مما يعين على التهيئة الشعورية لدى القارئ لما بين جو الاقتباس وجو القصيدة من توافق . فالقسم القرآنى فى صدر الأبيات التالية من شأنه أن يذكر موقف الشاعر الذى تفصح عنه الأبيات التالية للقسم حتى لا يعود ذلك الموقف موضوع إنكار أو عجب :

" والليل وما وسق "

" والقمر إذا اتسق "

إننى راكب طبقا عن طبق

راحل فى زمان القلق

قادم من عصور النزق ... إلخ .

وقد يكتفى الشاعر بالاستهداء بالاستعمال القرآنى بدلا من الاقتباس الصريح :

هذه الأرض على زنديك تهتز ...

... وفى عينيك تمتَدُّ ...

... وفى كَفَّيكْ تربو ...

ويأتى هذا الاستهداء كما نرى سلسا طبيعيا كما لو كان على غير وعى من الشاعر . أما الاقتباس فيتم عادة عن وعى لأن الشاعر إنما يعمد إليه لتحقيق غاية محددة وكل ما يطلب من الشاعر فى هذه الحالة أن يأتى بالاقتباس فى مكانه الصحيح . ففى الأبيات التالية اتخذ الشاعر من شعراء زمانه موقفاً اعتمد فيه على الآيات الأخيرة من سورة الشعراء وكأنه يريد أن يقارن بين هؤلاء الشعراء والشعراء الذين ورد ذكرهم فى السورة الكريمة . ولهذا جاء الاقتباس لبعض هذه الآيات فى مكانه الصحيح :

لم تُوصَد أبوابُك إلا فى وجه الشعراءْ

فالشعراء تراموا بنبال الحرف العمياءْ

واقتتلوا فى ساحات الكلمات الجوفاءْ

" يلقون السمع وأكثرهم " مَدَّاح هجَّاءْ

ومن سورة الأنبياء :

" ما يأتيهم من ذِكْرٍ من ربهمُ " وَضَّاءْ

" إلا استمعوه وَهُمْ " والصَّخْرُ سواءْ

بل إن ظاهرة الاقتباس عند الشاعر لتتعدى القرآن الكريم إلى الشعر. وهو فى اقتباس الشعر ينتقى الأبيات ذات الرنين الخاص المناسب لإيقاع القصيدة وجوها الشعورى . يقول فى قصيدة " التائه "

والرصاصات تنادى

قِفْ مكانَكْ

لا تُحَرِّكْ بالمنى إلا لسانَكْ

هل تريد النار تجتاح زمانَكْ

قفْ مكانَكْ

وأنا أشْهَدُ صَوْت الجَدِّ فى قلب المنارات القديمةْ

" ســـأحْمل رُوحـــى علـــى راحَتـــى

وألُقـــــــى بهـــــا فـــــى خِضَـــــمِّ الـــــرَّدى

فإمـــا حيـــاةٌ تســـر الصـــديق

وإمـــــــا ممـــــــاتٌ يغـــــــيظ العـــــــدا "

فبالرغم من أن البيتين الأخيرين – كما أشار الشاعر إلى ذلك – للشاعر الفلسطينى عبد الرحيم محمود من الشعر العمودى فإنهما وقعا فى مكانهما الصحيح فى قصيدة من الشعر الحر فالموضوع مشترك وهو فلسطين والمعانى متسقة، واسم الشاعر الفلسطينى الذى يعرفه قطاع كبير من القراء حتى ولو لم يشر إليه الشاعر صراحة يضفى على الاقتباس قدرا غير قليل من المناسبة . وقد آثر الشاعر فى بعض قصائد المجموعة أن يختمها بأبيات وردت فى القصيدة ذاتها كما فى قصائد " الجبل " و" الأزهر والطوفان " و" الشهيد " وكأنما يريد الشاعر بهذه الأبيات أن تكون

بمثابة ما يسمى " بيت القصيد " حيث يكمن فحوى القصيدة وتتركز بؤرة انفعال الشاعر التى يريد أن يدفع بها إلى حساسية القارئ .

وبالرغم من وجود بعض القصائد الذاتية فى هذه المجموعة – العمودية من حيث الوزن،التقليدية من حيث الرؤية الشعرية– فإن أكثر قصائد المجموعة من الشعر الحديث . ولعل الشاعر لم يعمد إلى تلك القصائد التقليدية إلا لينفى عن نفسه صفة المذهبية التى تنزلق أحيانا إلى التزمت والعصبية سواء أكانت هذه المذهبية تقليدا أم تجديداً . وربما أراد الشاعر أن يبين بهذه القصائد التقليدية أن ايثاره الشعر الحديث لم يكن لمجرد الرغبة فى التخفف من قيود الشعر القديم كما يصنع كثير من المتعلقين بذيل الشعر الآن ، لأن ما فى الشعر الحديث من حرية ينطوى على مصاعب ومسئوليات جسام وهذا هو شأن الحرية الحقيقية دائما. فالشعر الحديث نمط من أنماط التعبير الشعرى يجمع بين المعرفة

والفن ويقوم على العقـل والخيـال ويقـدس الفكـر والعاطفـة ويـؤمن بالحرية والالتزام . وهو بذلك يعـد محاولـة للرجـوع إلى الينـابيع الأوعى لفطرة الشعر قبل أن تتفرق بـه السـبل عـن سـبيله بهـدف إشباع الحساسية الفنية للإنسان الحديث .

د . عبد الحكيم حسان
مكة المكرمة 1986م

فهرس القصائد

م	القصيـــدة	الصفحة
1	الإهـــــــــــــــــــــــــداء	
2	المرايـــــــا وزهـــــــرة النـــــــار	
3	مهـــــــــلاً يـــــــا ســـــــــيدتى	
4	ســـــــــــــــــــــــــــباق	
5	مـــــــن فتوحـــــــات الغربـــــــ	
6	الشـــــــــــــــــــــــــــهيد	
7	التائـــــــــــــــــــــــــــ	

م	القصيـــــدة	الصفحة
	.....	
8	الظـــــــــــــل المضـــــــــــــى	
	.....	
9	قافلـــــــــــــة الغربـــــــــــــاء	
	.....	
10	الجبـــــــــــــــــــــــــــــل	
	.....	
11	الأزهـــــــــــــر والطوفـــــــــــــان	
	.....	
12	الغريـــــــــــــــــــــــــــــــــــق	
	.....	
13	الطريـــــــــــــــــــــــــــــــــــق	
	.....	
14	رسالة إلى الواقف فى وجه التيار	
15	الفـــــــــــــارس والشـــــــــــــمس	
	.....	

الصفحة	القصيـــدة	م
	الشـــــعر بـــــين القــــديم والجديـــــــ	16
	فهـــرس	17